# رؤية إسلامية حول الغربة والاغتراب


فضيلة الأستاذ
عبدالوهاب حسين



تيار الوفاء الإسلامي
Al-wafa'a islamic party | Bahrain

# رؤية إسلامية حول الغربة والاغتراب

فضيلة الأستاذ عبدالوهاب حسين

## هوية الكتاب

العنوان: رؤية إسلامية حول الغربة والاغتراب

الموضوع: بحث حول الغربة

الكاتب: فضيلة الأستاذ عبدالوهاب حسين

الطبعة: الأولى ١٤٣٨هـ / ٢٠١٦م

المناسبة: لقاء الثلاثاء (٧٧)

التاريخ: ٧ فبراير / شباط ٢٠١١م

بسم الله الرّحمن الرّحيم

اللّهم صلِّ على محمدٍ وآل محمدٍ وأهل بيته
الطَّيبين الطَّاهرين وأصحابه المنتجبين.

قام بعض الأحبَّة على طباعةِ كتابي (الاغتراب) ورغبوا في كتابةِ مقدّمةٍ له ، فلم أجد وجدانيًّا بُدًّا من الاستجابةِ لهم وتلبيةِ رغبتهم العزيزةِ جدًّا على نفسي، ورغبتُ أن تكون المقدّمةُ مقاربةً لمفهومِ الاغتراب.

فمن المعلوم بالضَّرورة أنَّ الإنسانَ هو أكرمُ المخلوقات، قول الله تعالى ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾[1] وهو يتميَّزُ بالعقل وحرِّيَّة الإرادةِ والاختيار، ويصنعُ ماهيَّته بنفسه، وهذا يُحمِّلُ الإنسانَ مسؤولياتٍ عظيمةً ليس بوسعه التخلِّي أو التَّنازلِ عنها، وفي مقدِّمتها: أن يحافظَ على إنسانيَّته وكرامته وتميُّزه ويسيرَ في طريقِ التَّكاملِ المعرفيّ والتربويّ والحضاريّ، ويُنَمِّيَ إنسانيَّته بواسطةِ المعارفِ الحقَّةِ والأخلاقِ الفاضلةِ والأعمالِ الصَّالحةِ، فليس كلُّ المعارفِ وكلُّ الأخلاقِ وكلُّ الأعمالِ تصلحُ له، إنَّما وحدها المعارف الحقَّة والأخلاق الحميدة الفاضلة والأعمال الصَّالحة التي توافقُ فطرتَه وتُنَمِّي إنسانيَّته، فقد خُلِقَ على طبيعةٍ ثابتةٍ ذات غايةٍ مُشخَّصةٍ ولها سُنَّةٌ واحدةٌ صالحةٌ تتكفَّلُ بإيصاله إلى كمالِه اللَّائقِ به والمُقدَّرِ له وتُحقِّقُ له السَّعادةَ الحقيقيَّة

١. الإسراء: ٧٠

الكاملةَ في الدَّارين: الدُّنيا والآخرة. فإذا خَالَفَتِ المعارفُ والأخلاقُ والأعمالُ الفطرةَ في شيءٍ فقد وقعَ الإنسانُ في محنةِ الاغترابِ والضَّياعِ والاستلاب، وسَارَ في طريقِ النَّقصِ والشَّقاءِ والهلاكِ في الدَّارين: الدُّنيا والآخرة.

فالاستغراقُ في عالمِ الدُّنيا والمادَّةِ والمصالحِ الدُّنيويَّةِ والأهواءِ والشَّهواتِ واللذَّاتِ الحِسيَّةِ والأغراضِ الباليةِ والنيَّاتِ الخبيثةِ والمقاصدِ الفاسدةِ والأعمالِ السيِّئةِ والخضوعِ لقوى التَّرهيبِ والتَّرغيبِ التي تَفرضُ عليه قناعاتِه وتُغيِّرُها تحت تأثيرِ سلطتِها بدل سلطةِ الحجَّةِ والدليلِ والبرهانِ الصحيح هو عينُ الاغترابِ والاستلابِ والضَّياعِ؛ لأنَّ الإنسانَ يغيبُ في هذه الأمورِ ويفقدُ حريَّته وكرامته، ويتوارى عن حقيقةِ نفسِه ويُضيعُها، ويُصبِحُ غريبًا عن نفسِه وطبيعتِه ومُفارِقًا ومُغايِرًا لها، ولا يوجدُ في المحلِّ أو الموقعِ أو الموضعِ الذي يُعَدُّ وجودُه فيه طبيعيًّا أو سويًّا أو عاديًّا أو يكون فيه

كاملًا وسعيدًا.

وهـذه حقيقـةُ الاغتـرابِ الـذي أصلُـه في اللُّغـة: الغربـة، وتعـني: الابتعـادُ والغيبةُ والإختفـاءُ، فيقال: غربَت الشَّـمسُ، أي: ابتعدَت واختفَـت في مغربِها. واغتربَ فلانٌ وتغـرَّب: ابتعـدَ ونزحَ عن وطنِـه وانتقلَ إلى بلادِ الغربِ والعيش فيه، وحملَ فكرَ الغربِ وتَخلَّقَ بأخلاقِهم وعاشَ مثل عيشتهم واتَّبعَ تقاليدَهم في الحياة.

**ومعـنى الاغتـرابُ في اللُّغة:** الضَّياعُ والاسـتلابُ واللّاانتمـاء. ومعناهُ في الاصطلاح: أن يُضِيعَ الانسـانُ شـخصيَّته الأولى ويصيرَإنسـانًا آخر، وانفصالُ الإنسـانِ عن أشياءَ وقيمٍ كان شديدَ التعلُّقِ بها، مثل: المعارفِ الحقَّةِ والأخلاقِ الفاضلةِ والأعمالِ الصَّالحةِ الـتي كان شـديدَ التعلُّـقِ بهـا بأصـلِ خلقتـه وفطرتـه، أو انفصالُـه عـن قـيمِ مجتمعِه أو أسـرتِه وشـعوره أنَّه أصبحَ أسـيرًا لمعجزاتِ حضـارةِ العصرِالمادِّية، وغيـره.. وفي تعريفِ

الماركسيَّة: أن يفقدَ الإنسانُ حريَّتَه واستقلالَه الذَّاتي ويصيرَغريبًا عن نفسِه بتأثيرِ الأسبابِ أو العواملِ الخارجيَّةِ السِّياسيَّةِ أو الاقتصاديَّةِ أو الاجتماعيَّةِ أو الدينيَّةِ أو غيرِها كما تتصرَّفُ في السِّلعِ التجاريَّة، وهذا هو الشيء الذي يعني إرجاعَ الكائنِ العاقلِ (الإنسان) إلى مستوى الأشياءِ والموضوعات، وعليه قيل شَيَّأَ اللّٰهُ وجهَه، أي: قبَّحه.

وتعتبرُ السَّعادةُ الحقيقيَّةُ منتهى أفعالِ وأعمالِ الإنسان كلِّها، فهو يعملُ الأعمالَ ويتحرَّى الأفعالَ من أجلِ ما يعتقدُ أنَّه السَّعادةُ الحقيقيَّة، وكلُّ عملٍ وفعلٍ وتصرُّفٍ وموقفٍ وعلاقةٍ لا تنتهي بالإنسانِ للكمالِ وتحصيلِ السَّعادة، أي: مخالفة العقائدِ الحقَّة، والأخلاقِ الفاضلةِ، والطَّريقةِ الوسطى (الاعتدال) والشَّريعةِ السَّمحاء، فهو نقصٌ وشقاءٌ واغترابٌ واستلابٌ وضياعٌ ومخالفةٌ للطبيعةِ والفطرةِ والعقلِ والمنطقِ

السَّـليمِ والبرهانِ الصَّحيح.. وفي الحقيقةِ والواقع: لا كمالَ للإنسـانِ ولا سعادةَ حقيقيَّةً بغيـر المعـارفِ الحقَّةِ والأخـلاقِ الفاضلةِ والأعمـالِ الصَّالحةِ والنيَّـاتِ الطَّيبةِ والمواقفِ والعلاقاتِ الصَّادقة التي تُبنَى على الفطرةِ، وتُوافِقُ الشَّـريعةَ الإلهيَّة السَّـمْحَة، ويُقِرُّها العقـلُ والمنطـقُ والبرهانُ الصَّحيح، وعليه يجبُ التمسُّـكُ بالإسـلامِ الحنيفِ الذي هو دينُ الفطرةِ والعقلِ والعملُ به، لكي ينسـجمَ الإنسـانُ مع طبيعتِه وفطرتِه، وينجوَ من الاغتـرابِ والاسـتلابِ والضَّيـاع، ويتوصَّلَ إلى كمالِه اللَّائقِ به والمُقـدَّرِ له ويتحصَّلَ على سعادتِه الحقيقيَّةِ الكاملةِ، وينجوَ من الشَّقاءِ والهلاكِ بالدَّارين: الدُّنيا والآخرة.

وختامًـا: أشـكرُ الأحبَّـةَ القائمين على طباعـةِ الكتاب، وأعتـذرُهم عـن التَّقصير، وأسـألُه تباركَ وتعالَى أن يُجزلَ لهم الأجرَ والثواب، ويُحسـنَ إليهم غايةَ الإحسان، وأن ينفعَنـا جميعًـا بما في الكتابِ في الدِّيـنِ والدُّنيا والآخرة، إنَّه لطيفٌ لِمَا يشـاءُ، وأُوصِيهم

بالدُّعاءِ لي ولأهلي ولجميعِ أخواني.

والسَّلامُ على حَملةِ الحقّ ورحمةُ اللهِ وبركاتُه.

عبد الوهاب حسين علي أحمد إسماعيل.

البحرين - سجن جو
١٣ ذي القعدة ١٤٣٧ هـ
١٧ أغسطس آب ٢٠١٦ م

بسم الله الرّحمن الرّحيم

والصَّلاةُ والسَّلامُ على سيِّدنا ونبيِّنا محمدٍ
وأهلِ بيتِه الطَّيبين الطَّاهرين وأصحابِه المنتجبين.



الغربةُ والاغترابُ من المفاهيمِ الدَّقيقةِ التي استحوذَت على اهتمامِ المفكِّرين بجميعِ مشاربِهم الفكريَّةِ والدِّينيَّةِ والسِّياسيَّةِ ودَرسُوها بعمقٍ وعنايةٍ فائقة.

الغربةُ والاغترابُ في اللُّغةِ بمعنًى واحد، وتعني: النُّدرةُ، والاختفاءُ، والغموضُ، وعند أصحابِ المعاني: كون الكلمةِ وحشيَّة، أي: غامضةٌ وغيرظاهرةِ المعنى ولامأنوسةُ

الاستعمال.

وأغربَ: جاءَ بشيءٍ غريب، وسافرَ سفرًا بعيدًا، أي: صارَ غريبًا.

والغريبُ: المحتاجُ لأنَّه بعيدٌ عن مصادرِ الثَّروة، والمسافرُ لأنَّه لا يجدُ حولَه من يؤنسُه، والسَّجينُ لأنَّه في عزلةٍ عن المجتمع، والأمرُ النَّادرُ لأنَّه مختلف، والشيءُ الذي لا يكونُ في الوضعِ الطبيعي، والذي ليس من القومِ أو البلد، والجمعُ: غرباء.

وتغرَّبَ: نزحَ عن وطنِه وذهبَ إلى بلادِ الغربة، أو تزوَّج من غير أقاربه.

والتغريب: النَّفي القسري من البلد، أو فرضُ العزلةِ الجسميَّةِ أو المعنويَّةِ على شخص.

وفي الاصطلاح: انفرادُ الإنسان بوصفٍ يجعلُه مختلفًا عن أبناءِ قومِه فيكون بينهم

غريبًا، وانفصالُ الإنسـانِ وجدانيًّا عن أشـياءَ كان شديدَ التعلُّقِ بها من قبل، ومخالفةُ المحيطِ الاجتماعيّ في الرؤيةِ والمنهجِ والمواقف، وغيره.

هناك معانٍ اصطلاحيَّةٌ أخرى كثيرةٌ في الفلسفةِ وعلمِ النَّفسِ والاجتماعِ والاقتصادِ والتَّصوُّفِ والعرفانِ وبعضها أكثرُ أهمّية مما ذكرت، ولكني أعرضتُ عن ذكرها لتعقيدِها وعدم مناسـبتِها للمقام، وسـوف أذكرُ في ثنايا الحديث ما هو مأخوذٌ منها بشكلٍ سلسٍ وبعيدٍ عن التَّعقيد.



**تنقسمُ الغربةُ إلى قسمين:**

١. غربةٌ حسّيةٌ، مثل: السَّفرِ لطلبِ الرّزقِ أو العلمِ أو السّياحةِ ونحوِها.

٢. غربةٌ روحيَّةٌ أو معنويَّة، مثل: انفصالِ الإنسـانِ عن فكرِ وقيمِ وأسـلوبِ حياةِ

ومنهجِ مجتمعِه أو حزبِه أو أسرتِه.

من الغربـةِ الروحيَّةِ غربةُ المؤمنِ في عالمِ الدُّنيا، فالمؤمنُ غريبٌ فعلًا في عالمِ الدُّنيا حتَّى وإن كان له ملكٌ كملكِ نبي الله سـليمان عليه السلام، قولُ الرَّسـولِ الأعظمِ الأكرم صلى الله عليه وآله: «الدُّنيا سـجنُ المؤمنِ وجنَّةُ الكافر» فالمؤمنُ في سفرٍ روحيّ حقيقيّ ودائمٍ في عالمِ الدُّنيا، لأنَّـه مُتعلِّقٌ فكريًّا وقلبيًّا وروحيًّا بعـالمِ النُّورِ والطَّهارةِ والمعرفةِ والملكوتِ والجبروت، وعاشقٌ لذلك العالم، وهو في سفرٍ دائمٍ بعقلِه وقلبِه وروحِه إلى ذلك العالم وإن لم يُغادِر ولم يبرَح مكانه، ويتطلَّعُ إلى الاستقرارِ في الوطنِ الأبديّ في عالمِ الآخرة.

يُقـالُ أنَّ أبـا يزيد البسـطامي خرجَ من بلدِه في طلـبِ الحقيقة، فالتقَى به رجلٌ من الصُّلحـاء، فسـألَه: يـا أبا يزيد ما الـذي أخرجَك عن وطنِك؟! فأجـابَ: طلبُ الحقِّ، فقالَ له الرَّجلُ الصَّالح: إنَّ الذي تطلبُه قد تركتَه في بسطام (أي: بلده.) فتنبَّه أبو يزيد

ورجعَ إلى بلدِه.

يكون الإنسانُ غريبًا أيضًا حينما يكون ضائعًا تائهًا لا هدفَ له في الحياة، لأنَّه لا يمتلكُ الشُّعورَ بالانتماءِ الحقيقيّ إلى أيّ شيء، ويفتقدُ الرؤيةَ والمنهجَ والمعاييرَ للتمييزِ وللضبطِ بين السُّلوكياتِ والمواقفِ المختلفةِ، ويكون فاقدًا للبُعدِ الوجدانيّ والقيمِ والمبادئ، فلا يستطيعُ توجيهَ سلوكِه ومواقفِه بشكلٍ واقعيٍّ وصحيحٍ في الحياة.

فرقٌ كبيرٌ جدًّا بين الغربةِ الرُّوحيَّةِ التي يعيشُها الإنسانُ المؤمن، وبين الغربةِ الرُّوحيَّةِ التي يعيشُها الإنسانُ الضَّائعُ التَّائهُ في الحياة، حيثُ لا يعرفُ ماذا يفعل، ولا إلى أين يتوجَّه، فهو تائهٌ ضائعٌ غريبٌ بلا وطنٍ ولا طمأنينة، أمَّا المؤمنُ فوطنُه الذي عشقَه وأخلصَ إليه كلَّ الإخلاصِ هو «الحقيقة»، وهو يعيشُ في طمأنينةٍ وسكينةٍ أينما حلَّ أو رحل.

**تنقسمُ الغربةُ الحسِّيةُ إلى قسمين:**

١. غربةٌ اختياريَّةٌ وذلك حينما يسافرُ الإنسانُ باختيارِه لطلبِ الرِّزقِ أو العلمِ ونحوِهما.

٢. وغربةٌ قسريَّةٌ وذلك بسببِ التَّهجيرِ القسريِّ عن الوطن، أو لانقطاعِ سبيلِ العودةِ إلى الوطنِ لأيِّ سببٍ خارجٍ عن الإرادة، ونحوِهما.

وأشدُّ أنواعِ الغربةِ هي الغربةُ التي تُفرَضُ على الإنسانِ قسرًا.

**الإنسانُ قد يكون غريبًا وهو في وطنه، وذلك في حالات، منها:**

- السقوطُ في التبعيَّةِ بحيثُ يكون أسيرَ حضارةٍ أجنبيَّةٍ غير حضارته، أو مقهورًا من قبلِ قوَّةٍ استعماريَّةٍ أجنبيَّةٍ أو من قبل سلطةٍ طاغيةٍ مستبدَّةٍ (حاكمةٍ

أو حزبيَّةٍ أو مجتمعيَّةٍ أو غيرِها) تُفقِدُه حريَّتَه وتهضمُه حقوقَه، وتسحقُ إنسانيَّتَه وكرامتَه، وتُحوِّلُه إلى مجردِ أداةٍ تتحكَّمُ في آرائِه وسلوكِه ومواقفِه، فلا يمتلكُ القدرةَ أو الاستطاعةَ على التَّفاعلِ الحقيقيّ، وتكون تفاعلاتُه سطحيَّةً ومجرَّدةً من العُمقِ الفكريِّ والوجدانيِّ، والسبيلُ إلى النَّجاةِ والخلاصِ في هذه الحالةِ هي «الثَّورة».

- وحينما يكونُ مظلومًا أو مُتَّهمًا بدون حقٍّ، ويكون مطاردًا بالفتاوى الباطلةِ وبالقوانين الجائرة، وتتعرَّضُ سمعتُه للتشكيكِ والتَّشويهِ والإساءة، ويُمارَسُ الطَّعنُ في نزاهتِه، وذلك بهدفِ الضَّغطِ عليه من أجلِ أن يتنازلَ عن آرائِه ومواقفِه أو إسقاطِه وفرضِ الحصارِ والإقصاءِ عليه، ولا ناصرَ له ولا معينَ إلَّا الله عزَّوجل، والسبيلُ إلى النَّجاةِ والخلاصِ في هذه الحالةِ هو الصَّبرُ والمقاومةُ

والتوكُّلُ على الله العزيزِ الحكيمِ والتعلّقُ باللُّطفِ الإلهيِّ والرَّحمةِ الرَّبانيَّة.

- وحينما يحملُ فكرًا ومنهجًا وموقفًا مغايرًا لأبناءِ قومِه، فيكون هو في وادٍ وقومُه في وادٍ آخر، ويحاولُ أن يشرحَ ويُبيّنَ لأبناءِ قومِه عدالةَ قضيَّتِه وعذرَه فيما اختارَه لنفسِه ولكنَّهم لا يستمعون لِمَا يقولُ ولا يفهمونه، وأبرزُ المصاديقِ لهذا المعنى وأصدقُها الإمامُ الحسين عليه السلام وذلك حين بَيَّنَ مكانتَه في الإسلام، وعدالةَ قضيَّته، ودواعي موقفِه، وطلبَ من المعسكرِ اليزيديّ التَّفكُّرَ والتَّأمُّل، فيجيبُه الشِّمرُ بن ذي الجوشن: «يا بن فاطمةَ إنَّا لا نفهمُ ما تقول» والسَّبيلُ إلى النَّجاةِ والخلاصِ في هذه الحالةِ هو الإصرارُ على الحقِّ والصَّوابِ والتَّضحيةِ حتَّى الشَّهادة في سبيلِ الله عزَّوجلَّ، والإصرارُ على العزَّةِ والكرامةِ والحياةِ الطَّيبةِ مع أولياءِ الله الصَّالحين كما فعلَ الإمامُ الحسين عليه السلام أو الهجرةُ

والبحثُ عن وضع جديدٍ من أجلِ الوصولِ إلى المقصود (الغايات والأهداف) كما فعلَ الرَّسولُ الأعظمُ الأكرمُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه.

- وحينما يكون عبدًا مملوكًا (رقيقًا) لأنَّه لا يملكُ نفسَه ولا حريَّتَه.
- وحينما يفتقدُ الرؤيةَ والمنهجَ والمعاييرَ للتمييزِ وللضبطِ بين السلوكيَّاتِ والمواقفِ المختلفة، فلا يستطيعُ توجيهَ سلوكِه ومواقفِه بشكلٍ واقعيّ وصحيح في الحياة، والسَّبيلُ إلى النَّجاةِ والخلاصِ في هذه الحالةِ هو التَّعلُّمُ والحرصُ على الاستقامةِ والاستقلاليَّةِ في التَّفكيرِ وتقريرِ المصيرِ واتباع أحسن القول، قول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾[1].

---

١. الزمر: ١٨

وأغربُ الغرباءِ من صارَ غريبًا في وطنِه، لاسيما إذا اجتمعَت عليه أشكالٌ عديدةٌ من الغربةِ التي سبقَ ذِكرُها ونحوِها.

تَحدَّثَ الرَّسولُ الأعظمُ الأكرمُ ﷺ عن غربةِ الدِّين، فقال: «بدأَ الإسلامُ غريبًا وسيعودُ غريبًا فطوبَى للغرباء»[1].

**ذكرَ العلماءُ معانٍ عديدةً لغربةِ الدِّين، منها:**

١. سوءُ الفهمِ للدِّين.

٢. التنازلُ عن الدِّينِ من أجلِ المنافعِ الدنيويَّة.

٣. ظهورُ البدعِ وضياعُ قيمِ الدِّينِ الحنيفِ وأحكامِه.

---

١. رواه مسلم والترمذي وغيرهما

٤. قلّةُ الصّالحين وكثرةُ المعاندين والفاسدين.

٥. أن يُكرَّمَ المفسدون ويُهانَ الصّالحون.

٦. ونحو ذلك.

لقد بدأ الإسلامُ غريبًا في أطروحاتِه، ولم يؤمن به إلّا القليلُ من النّاسِ في مكّة المكرّمة، وتعرّضَ الرّسولُ الأعظمُ الأكرمُ ﷺ إلى السُّخريةِ والإساءةِ والاستهزاءِ ولاقى الكثيرَ من الأذى من المشركين، ثمّ أظهرَه -الإسلامَ- اللهُ عزّوجلّ بعد الهجرةِ إلى المدينةِ المنوّرة، ثمّ حدثَ الارتدادُ عن الدّينِ بعد وفاتِه، قولُ اللهِ تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾[1] وتمادى المرتدّون وكثرت ظواهرُ

١. آل عمران: ١٤٤

الارتداد، فاستولَى السَّلاطينُ على الحُكم، وظهرَ وُعَّاظُ السَّلاطينِ والفقهاءُ الجبناء، فظهرَت المفاهيمُ الباطلةُ والفتاوَى المنحرفةُ عن الدِّين، وساءَ الفهمُ للدِّينِ القَيِّم، وظهرَت البدعُ، وضاعَت مفاهيمُ الدِّينِ الحنيفِ وقيمُه ومعاييرُه وأحكامُه الحقيقيَّة، وسلَّمت الأمَّةُ رقابَها وأزمَّةَ أمورِها للسَّلاطينِ الفاسدين ووُعَّاظِ السَّلاطينِ والفقهاءِ الجبناء، وأَلِفَتِ المجتمعاتُ الإسلاميَّةُ البدعَ والفهمَ السَّيِّءَ للدِّين، وأصبحَت المفاهيمُ والقيمُ والمعاييرُ والأحكامُ الحقيقيَّةُ للدِّينِ غريبةً وغيرَ مقبولةٍ لدى غالبيَّةِ المسلمين، فأصبحَ المعروفُ منكرًا، والمنكرُ معروفًا، ويُكرَّمُ فيها المفسدون، ويُهانُ الصَّالحون، ونحو ذلك!!.

يُصبحُ القِلَّةُ من الصَّالحين وأصحابِ منطقِ الخيرِ والصَّوابِ الذين يستقيمون على الحقِّ في حالِ الفسادِ والتباسِ الأمورِ على عامَّةِ النَّاسِ هم الغرباء، ويُصبحُ الفاسدون

والمنتفعون أصحابَ الدَّارِ والوطن، وفي هذه الحالةِ يجبُ على الغرباءِ أن يعتزُّوا بغربتِهم، فهم الصَّفوةُ والأملُ والبؤرُ الصَّلبةُ وأركانُ التغييرِ والإصلاحِ في المجتمعات، وعليهم أن يصبرُوا على ما يلاقوه من الأذى، وما يعترضُ طريقَهم من التحدِّياتِ والصعوبات، ويحتسبوا إلى الله عزَّوجل، ويتوكَّلُوا عليه، ويُضحُّوا في سبيلِه وفي سبيلِ العزَّةِ والكرامةِ والحياةِ الطَّيبةِ حتَّى الشَّهادة، ولا يهنوا ولا يحزنوا ولا يضعفوا، فإنَّ اللهَ تباركَ وتعالَى مُؤيِّدُهم وناصرُهم، وسوف يُضاعِفُ لهم الأجرَ والثَّواب، وهم السُّعداءُ والفائزون في الدُّنيا والآخرة.

المؤمنُ الصَّادقُ في إيمانِه يدورُ في مواقفِه وعلاقاتِه مدارَ الحقيقةِ التي عشقَها وأخلصَ إليها، ومدارَ العدالةِ التي تُمثِّلُ قضيَّتَه الأم، وتُمثِّلُ جوهرَ وجودِه في الحياة، ولا يُقدِّمُ عليهما أيَّ شيء.

سوف أنتقلُ من هذه النُّقطةِ للحديثِ عن الهجرةِ التي تلتقي مع الغربةِ في المعنى، ولكن أُبقي على عنوانِ الهجرةِ في سبيلِ سهولةِ الفهم.

الهجرةُ موضوعٌ في غايةِ الأهميَّةِ من النَّاحية الرُّوحية والعمليَّة.

**أيُّهما أفضل: المعاشرةُ والبقاءُ مع القومِ أم الانزواءُ والغربةُ عنهم (الهجرة)؟**



في الأصلِ يجبُ أن يكون الإنسانُ في حالة ألفةٍ ومعاشرةٍ مع قومِه وجماعتِه، وعلى هذا يتوقَّفُ النُّضجُ العقليُّ والنَّفسيُّ للإنسان، وتكاملُه الرُّوحيُّ والمعنويُّ، والسيرُ في طريقِ الرُّقيِّ الحضاري، وتوفيرُ أسبابِ القوَّةِ والمنعةِ والنَّجاح، حيثُ يتبادل أبناءُ المجتمع المعارفَ والخبراتِ والخدماتِ بينهم، وهو السبيل إلى وصول الإنسان إلى السَّعادة في الدُّنيا والآخرة، وهذه هي (المعاشرةُ البنَّاءة) وإليها دعا القرآنُ الكريمُ والأحاديثُ الشَّريفة، قولُ الله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ

عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَاۤءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ﴾[1] وقولُ الرَّسول الأعظم الأكرم صلى الله عليه وآله: «أيُّها النَّاس!! عليكم بالجماعة، وإيَّاكم والفرقة»[2] وقولُ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «الزموا السَّواد الأعظم فإنَّ يد الله مع الجماعة، وإيَّاكم والفرقة فإنَّ الشَّاذ من النَّاس للشيطان، كما أنَّ الشَّاذ من الغنم للذئب»[3].

أساسُ الاجتماع والمودَّة بين النَّاس في المجتمعات ليست الأمورَ المادِّية، لأنَّ المادَّةَ فقيرةٌ إلى المعاني والمبادئ والقيم السَّامية، والحرصُ على الأمورِ المادِّية ينبعُ من شهواتِ

---

١. آل عمران: ١٠٣

٢. كنز العمال. ج١. ص٢٠٦. الحديث: ١٠٢٨

٣. النهج. الخطبة: ١٢٧

النَّفس، وهي في الحقيقةِ سببٌ للتنازعِ والاختلافِ والفرقةِ بين النَّاس وليس الاجتماعُ والمودَّةُ بينهم، والسبيلُ الوحيدُ لتحقُّقِ الاجتماع والمودَّة على أكملِ وجه، هو:

- أن يقومَ الاجتماعُ على أساس عقيدةِ التَّوحيد والمحبَّة في الله تبارك وتعالى، قولُ الله تعالى: ﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ. وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾[1].
- الطَّاعةُ لله ذي الجلالِ والإكرامِ والالتزامُ المطلقُ بالشَّريعة.
- وجودُ قيادةٍ حكيمةٍ تُمسِكُ بأزمَّةِ الأمورِ وتُديرشؤون المجتمعِ بكلِّ ثقةٍ وحزمٍ ومحبَّة.

---

١. الأنفال: ٦٢-٦٣

- تحقيقُ العدالةِ الاجتماعيّةِ والمساواة بين المواطنين في الحقوقِ والواجبات
- الأخذُ بمبدأِ الشُّورى (المشاركةُ الشَّعبيّةُ في صناعةِ القرار) وتَجنُّبُ الاستبدادِ بالرَّأي.

الاتِّحادُ والألفة هما السبيلُ إلى القوّة والنَّجاح في تحقيقِ الأهداف، قولُ الله تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[1] وينبغي على الإنسان الصَّبر والتحمُّل في سبيل البقاء في صفوفِ الجماعةِ والقيامِ بالإصلاح ما استطاع إلى ذلك سبيلا، وهو خيرٌ له من الانزواءِ أو المخالفةِ ما دام هناك أملٌ في الإصلاحِ وتحسينِ الأوضاع، قولُ الرّسول الأعظم الأكرم ﷺ: «الصبرُ أحدكم ساعةً على ما يكره في بعض مواطن الإسلام خيرٌ من عبادته خاليًا أربعين

١. الأنفال: ٤٦

سنة»[1].

ولكن حينما يستحكمُ الانحرافُ أو الفسادُ أو الفوضى ويكون البقاءُ سببًا إلى الضِّياع أو الذّوبان، أو يستحكمُ الاستبدادُ بالرَّأي، وتنقطعُ سبلُ الإصلاح، وتُفرَضُ على الإنسان التبعيَّة، ويُصبِحُ مجرَّد أداةٍ لتحقيقِ إرادةِ الآخرين، وتَتعرَّضُ المواقفُ والخياراتُ إلى الاهتزاز والتّشويه والارتباك، وتُشوَّشُ الرُّؤيةُ على أبناءِ الشّعبِ أو الأُمّة، فلا يستطيعون رؤيةَ الصّوابِ في المنهجِ والخياراتِ والمواقفِ (المعاشرةُ الهدّامة) ففي هذه الحالةِ يكون الفرارُ والتّغرُّبُ بالهجرةِ أو الشّهادةُ أو تغييرُ الموقعِ هو:

- السّبيلَ إلى النَّجاةِ والخلاص، كما يَفِرُّ الإنسانُ العاقلُ من الأماكن التي تنتشرُ فيها الأوبئةُ والأمراضُ المعدية.

---

١. كنز العمال. الحديث: ١١٣٥٤

- والسَّبيلَ إلى الإصلاحِ من خلالِ إيجادِ مواقعَ جديدةٍ ينطلقُ منها إلى المقصود (الغاياتُ والأهداف) وبدونِ الهجرةِ أو الشَّهادةِ أو تغييرِ الموقعِ تَنعدِمُ فرصةُ الإصلاح.

تُعتبَرُ الهجرةُ من الأصولِ الأساسيَّة التي قرَّرها الدِّينُ الإسلاميُّ الحنيفُ للإنسان في مثل هذه الحالات، فتُصبِحُ كلُّ بلادِ الله ذي الجلالِ والإكرامِ أوطانًا، ويكون وطنُ الهجرةِ أفضلَ من وطنِ الولادة، وذلك من أجل:

- الفرارِ بالدِّين والقيم والمبادئ من المحيطِ الملوَّث أو من الاستبداد وقمع الحرِّيات.
- وسلامةِ النِّفسِ ونجاتِها وتهذيبِها وتكميلِها.

- والإصلاحِ في المجتمعِ وتمكينِ الحقِّ والعدلِ والخيرِ والفضيلةِ على الأرض.
- وحفظِ حقوقِ النّاسِ الطبيعيَّة، وحريَّاتهم المشروعة، ومصالحِهم الحيوية.

قولُ الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾[1] وقولُ الرّسول الأعظم الأكرم ﷺ: «من فرَّ بدينه من أرضٍ إلى أرضٍ وإن كان شبرًا من الأرضِ استوجب الجنّة وكان رفيقَ محمدٍ ﷺ وإبراهيمَ عليه السلام»[2] وهذا يدلُّ على أنَّ الهجرةَ والغربةَ في مثل الحالةِ المذكورةِ يأتي متوافقًا في الرُّوحيِّةِ والمنهجِ مع ما كان عليهما خاتمُ الأنبياء والرُّسل الحبيب محمد بن عبد

١. النساء: ٩٧

٢. نور الثقلين. ج١. ص٥٤١

الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وخليل الرحمن إبراهيم عليه السلام ثم قول أمير المؤمنين عليه السلام: «سلامةُ الدِّين في اعتزالِ النَّاس» وقوله عليه السلام: «اعتزال أبناء الدُّنيا جماع الصَّلاح»[1] والمرادُ منها في الحالاتِ والأوضاعِ غير الصَّحية، والعجز عن التصحيح، سأل الإمام الصادق عليه السلام: اعتزلتَ النَّاس؟! فقال: «فسد الزَّمان، وتغيَّر الأخوان، فرأيت الانفراد أسكن للفؤاد»[2].



قد يكون خيارُ الفرارِ والغربةِ من خلال الشِّهادة في سبيل الله عزَّوجلَّ والعزَّة والكرامة والحياة الطَّيبة مع أولياءِ الله الصَّالحين كما فعل الإمام الحسين عليه السلام ويفعله الكثيرُ من الأولياءِ والصَّالحين، ومن يفعل ذلك يقع أجرُه على الله الغنيِّ الحميد، ولا يعلم ثوابَه ومكانتَه إلَّا الله تبارك وتعالى.

---

١. غرر الحكم

٢. البحار: ج٤٧، ص٦٠

في الشَّـهادةِ تَتجسَّـدُ غايـةُ الصِّـدقِ والإخـلاصِ والبر، قـولُ الرَّسـول الأعظـم الأكرم ﷺ: «فوق ذي كلِّ برٍّ برٍّ حتَّى يقتلَ الرَّجلُ في سـبيل الله، فإذا قُتِلَ في سبيل الله، فليس فوقه برّ»[1].

المحيطُ الفاسدُ يُضعِفُ التعقُّلَ وتأثيرَ الإرشاداتِ والتَّوجيهاتِ السَّديدة والصَّادقة، فيجبُ السَّعيُّ لإصلاحِ المحيطِ وخلقِ الأجواءِ الصّحية المناسبةِ في سبيلِ صفاءِ العقلِ وجـودةِ التَّفكيـر، والاسـتفادةِ من الإرشـاداتِ والتّوجيهاتِ السَّـديدة، وتهذيبِ النَّفسِ وإصلاحِها وتكميلِها، ومع العجزِ عن إصلاحِ المحيط، يجبُ الفرارُ بالنَّفس في سـبيل نجاتها وخلاصِها من الهلاك، ويجبُ الحذر:

١. من الاستسلامِ لعناصرِ التلوُّثِ والقبولِ بمصادرةِ الحرِّية.

---

١. البحار، ج٩٧، ص١٠

٢. ومن التبريراتِ الوهميَّة والتذرُّع بالحججِ الواهية في سبيل البقاء ضمن

٣. المحيطِ الفاسد، فإنَّ سلامةَ الرُّوحِ والدِّين أهمُّ بكثيرٍ من سلامةِ البدنِ وحفظِ المصالحِ الدُّنيوية.

إنَّ المحيطَ الذي يعيشُ فيه الإنسان عاملٌ مهمٌّ في تكوين شخصيَّته، والتأثيرِ على عقلِه وروحيَّته وقراراتِه ومواقفِه وتوجيهِ سلوكه نحو الخير أو الشَّر:

١. فالمحيطُ السَّليمُ والصَّالح، يُساهِمُ في تطهيرِ النَّفس، وتهذيبِ الأخلاق، وتربيةِ الملكاتِ الفاضلة، ويُفرِزُ أناسًا صالحين وفاعلين في المجتمع.

٢. والمحيطُ السَّقيمُ الفاسدُ الملوّثُ يضغطُ على العقلِ والرُّوح، ويلوّث النَّفس، ويفسد الأخلاق، ويقتل الملكاتِ الرُّوحية، ويمنع المواهبَ والألطاف الإلهيَّة،

ويُفـرِزُ أناسًـا سـيِّئين ومفسـدين أو سـلبيِّين في المجتمع، قـول الله تعـالى:

﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾[1].

طلـبُ الفضائـلِ والارتقاءِ في معارجِ المعرفـةِ والكمالِ وطلبُ الإصلاح في المجتمع لا يكون إلّا في المكان المناسـبِ وبالأدوات المناسـبةِ ومع النّاس المناسـبين، والسَّـعيُّ إلى تحصيلِها في المكان غير المناسبِ وبالأدواتِ غير المناسبةِ ومع النّاس غير المناسبين، هو بمثابـةِ العبـثِ وإهـدارِ الوقتِ والطّاقـاتِ والجهود بغير فائدة، قول الله تعـالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾[2].

تكون الهجرةُ في الحالةِ المذكورة، ويكون اختيارُ طريقِ ذات الشّـوكةِ والشَّـهادةِ في

١. النمل: ٤٣

٢. التوبة: ١١٩

سبيل الله عزَّوجلّ والعزَّةِ والكرامةِ والحياةِ الطَّيبةِ مع أولياء الله الصالحين، دليلًا على:

١. صدقِ الإيمانِ وقوّةِ اليقين.

٢. سلامةِ الفطرةِ وحُسنِ العقل.

٣. الرُّوحِ المعنويَّةِ العالية.

٤. قوّةِ العزمِ والإرادة.

٥. التحلّي بالصِّفات الحميدة، مثل: الشّهامة والشّجاعة والعفّة والحزم والعزم والجزم.

٦. الزُّهدِ في الحياة الدُّنيا ومتاعِها وزينتِها وزخارِفِها.

٧. الرِّغبةِ الجدّيةِ في الله ذي الجلال والإكرام والإصلاح، والوصولِ إلى سبلِ

السِّعادة والنَّجاة في الدُّنيا والآخرة.

قولُ الإمام الكاظم عليه السلام: «الصَّبرُ على الوحدةِ علامةٌ على قوّةِ العقل، فمن عقل عن الله اعتزل أهل الدُّنيا والرَّاغبين فيها، ورغب فيما عند الله، وكان أنيسه في الوحشة، وصاحبه في الوحدة، وغناه في العيلة، ومعزه من غير عشيرة»[1].



وفي المقابل يكون البقاءُ والقبولُ بالأمرِ الواقعِ والاستسلام إليه دليلًا على:

١. البلادةِ والتكلُّس.

٢. ضعفِ الإرادةِ واليقين.

٣. حبِّ الدُّنيا.

---

١. البحار، ج٧٠، ص١١٢

٤. الانحطاطِ الرُّوحيِّ والفكريِّ والأخلاقيِّ.

ويكون سببًا لانعدامِ فرصِ الإصلاح في الأنفس والمجتمعات.

يكونُ الإنسانُ لو كان وحيدًا حينما يختارُ الغربةَ والسَّيرَ في طريق ذات الشَّوكةِ بمثابة الأمَّة في واحد، قولُ الله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[1] وتكون الهجرةُ أو الغربةُ في مثل هذه الحالة سبيلاً إلى:

- النَّجاةِ والرَّحمةِ والصَّلاحِ في الدِّين.
- والقربِ من العليِّ العلى.
- والحصولِ على الكراماتِ والبركاتِ المعنويَّةِ والألطافِ الإلهيَّةِ العظيمة.

---

١. النحل: ١٢٠

- والوصولِ إلى المراتبِ المعنويّةِ والكمالاتِ الإنسانيّة العليا في طريقِ السُّلوكِ والمعرفة.
- وفتحِ أبوابِ الفرجِ والخروجِ من جميع المآزقِ مهما كانت صعبةً ومحكمةً، قول الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا. وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾[1].

وإصلاحِ أحوالِ الإنسانِ وإلباسه لباس العافية.

والزِّيادةِ عليه من الخيراتِ والبركاتِ في الدُّنيا.

قولُ الله تعالى: ﴿وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ

---

١. الطلاق: ٢-٣.

لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا﴾[1] وقول الله تعالى: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا. فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾[2].

أصحابُ الكهف فتيةٌ (شبابٌ أقوياء) من المؤمنين، كانوا يتمتَّعون بسلامةِ الفطرة، ورجاحةِ العقل، والصِّدقِ واليقينِ في الإيمان، وقوَّةِ الإرادةِ والتَّصميم، والزُّهدِ في نعيم الدُّنيا وزخارفِها، والعشقِ للمعبودِ الأعظم ذي الجلال والإكرام. وهذه فضيلةٌ نادرةٌ في البشر. وكانوا يعيشون في رغدٍ من العيش، حيثُ كانوا من الوزراء في الدَّولة، وكانت لهم صلاحيَّاتٌ ضخمةٌ في السُّلطة، ولكن في مجتمعٍ منحرفٍ وفاسدٍ ومعاند، فرفضوا



---

١. الكهف: ١٦

٢. مريم: ٤٨ـ ٤٩

الذَّوبان في ذلك المجتمعِ الفاسـد، ورفضوا الانصياعَ للسُّـلطة المنحرفة، ولم يقبلوا بالأمر الواقـع ولم يستسـلموا له (الانعزالُ الفكـريُّ والرُّوحي) وأعلنوا المقاومـة، واختاروا طريقَ ذات الشَّوكةِ والحياةِ الخشنةِ التي يشعرون فيها بكرامتِهم وإنسانيِّتهم وحرِّيتهم الحقيقيَّة بديـلًا عـن الشَّـهواتِ والحياةِ الملوَّثـةِ التي كانـت تُمثِّلُ سـجنًا ضيّقًا كالقبرِ لأرواحِهم، كما قالَ اللهُ تعالى على لسـانِ يوسـف الصِّدِّيق عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ السِّـجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِي إِلَيۡهِ﴾[1] فتعرَّضوا للسَّـخطِ والنقمة من السُّـلطة ومن أعوانِها والمسايرين لها، فصمـدوا وواجهوا الصُّعوباتِ والتحدِّياتِ بكلِّ أملٍ وصبرٍ وعزيمةٍ وحماسـةٍ ولم يتزلزلوا، ولم يهنوا ولم يحزنوا ولم يبالوا بما سيحدثُ لهم وما سيصيبُهم في سبيلِ الله عزَّوجلّ والعزَّة والكرامةِ والحياةِ الطَّيبةِ مع أولياءِ الله الصَّالحين، وتوكَّلوا على الله العزيزِ الحكيم، ورضوا

١. يوسف: ٣٣

بما اختاره لهم، وقرّروا الهجرةَ من الوطن، والعيشَ في الحرمان المادّي والمكانِ الضَّيق (الاعتزالُ الجسمي في الكهف) وذلك بعد أن فقدوا الأمل في إصلاحِ قومِهم أو التمتُّعِ بحقّهم في العقيدةِ وإبداءِ الرَّأي، ممَّا جعلَ من الاعتزال:

١. ضرورةً وقائيَّةً: روحيّة وعمليّة.

٢. والسَّعي لموقعٍ آخرَ أفضل يسمح لهم بحفظ النّفس وتكميلها، وإعطاء فرصةٍ لإحداث الإصلاح المرجوّ في المجتمع، وتمكين الحقِّ والعدل على الأرض.

فكان قرارُ الهجرة والغربة سبيلًا لهم من أجل النّجاة والخلاص، وليستريحوا في أمن الله وأمانه الرُّوحي والمعنوي.

لمَّا علم اللهُ الرّؤوف الرّحيم من الفتيةِ الصِّدق في الدِّين والإخلاص في النِّية، ثبّتهم

وربط على قلوبهم وزادهم هدًى وبصيرةً في الدِّين وفي أمرِهم وأمرِ مجتمعهم.

إبراهيم الخليل عليه السلام قد رفض الانحرافَ الذي كان عليه قومه (الاعتزالُ الفكريُّ والرُّوحيُّ والقِيَمي) وأعلن المقاومة السِّلمية، وقابلَ ما أطلقُوه في وجهِه من تهديدٍ ووعيدٍ وما مارسُوه ضدَّه من خشونةٍ وأشكالِ التَّضييقِ والاقصاءِ والتَّحقيروالاتّهام بالباطلِ وتشويه السُّمعة، ولمّا علم منهم التكبَّرَوالعنادَ وعدمَ تقبُّلهم للحقِّ والنُّصح، وأدرك من حالِهم استحالةَ التَّغييرفيهم، هاجرَعنهم (الاعتزالُ الجسمي) وتركَهم إلى قدرهم، وذلك من أجل صيانةِ نفسه ودينه، والبحثِ عن موقعٍ جديدٍ لإحداث الإصلاحِ المطلوب، فوهبه الله الغنيُّ الحميدُ بسبب صدقِه وإخلاصِه ورفضِه للباطلِ والفسادِ واستقامته على الحقِّ وسعيه في سبيل الإصلاح وصبرِه على الأذى واحتسابِه إلى الله العزيزالحكيم إسماعيلَ وإسحاقَ وعوّضَه بالذِّكرِالحَسنِ بين النّاس إلى يوم

القيامة وغير ذلك من الخيراتِ والبركاتِ والإفاضاتِ المادِّية والمعنويَّة.

**هذا يدلُّ على أمورٍ في غايةِ الأهمِّية، منها:**

- أنَّ الحقَّ هو الوطنُ الأصليُّ الحقيقيُّ الذي يعشقُه الصُّلحاءُ ويأنسون به، وأنَّ الغربةَ الرُّوحيَّةَ هي قدرُهم المفروضُ عليهم في الحياة.
- أنَّ الوطنَ المادِّيَ لا قيمةَ له في مقابلِ الوطن الرُّوحي الذي تسكنُه أرواحُ الصُّلحاءِ العاشقين الذين يتَّصفون بالطَّهارةِ الرُّوحية والصِّدقِ والإخلاصِ والنَّزاهة.
- أنَّ الأحوالَ والأوضاعَ المنحرفةَ والفاسدةَ هي في الحقيقةِ حُجبٌ عن الحقِّ والحقيقة والصَّواب، وعن رؤيةِ النُّورِ المعنوي، وأنَّها تحُولُ بين الإنسان وبين

الوصولِ إلى السَّعادة والنَّجاة.

- أنَّ طريقَ الحقِّ هو طريقُ ذات الشَّوكة، وهو طريقٌ مليءٌ بالصُّعوباتِ والتَّحديات، ويصعبُ على الإنسان أن يجتازَ هذا الطَّريقَ بسلامٍ ويصلَ إلى أهدافِه بدون لطفِ الله تبارك وتعالى وعونِه وتسديدِه، وأنَّ سلوكَ هذا الطَّريقِ هو علامةٌ على الصِّدقِ والسَّبيلِ لنيلِ المقصود.
- أنَّ اللهَ العزيزَ الحكيمَ إذا علم من عبدِه الصِّدقَ والإخلاص، فإنَّه لا يخذلُه ولا يتركُه وحيدًا في المعركة، فيمدُّه بِالعَون، ويَسدِّدُه، وينصرُه، ويقعُ أجرُه عليه، ويُعوِّضُه عن كلِّ ما يفقدِه، قول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾[1].

---

١. العنكبوت: ٦٩.

- أنَّ القرابـةَ والصَّداقـةَ ونحوهمـا لا تُقدَّمُ عـلى الدِّين والحـقِّ والعدل والمصالحِ الحيويَّة والجوهريَّةِ العامَّةِ للنَّاس.

- وجودُ عالمٍ من النُّورِ والطَّهارةِ والصَّفاءِ هو عالمُ الجبروتِ والملكوت، فيه الرَّحمةُ والرِّفقُ واللُّطفُ بالصَّالحين والاطمئنانُ والألطافُ الإلهيَّةُ العظيمة، وهو عالمٌ يُعوِّضُ ساكنيه بأرواحِهم عن الضِّيق والشِّدةِ في عالمِ المادَّة، وهو عالمٌ لا يعرفُه إلَّا الصُّلحاء من أهلِ الإيمان واليقين.

- المؤمنُ لا يعتزُّ بالأكثريَّة في نفسها، ولا يعتبرُها حُجِّيةً في تشخيصِ الحقِّ والصَّواب في الأمور، وإنَّما يعتزُّ بالحقِّ والصَّواب في نفسيهما، ويسعى إليهما بصدقٍ وإخلاص، ويجعلُ الدَّليلَ والبرهانَ هو الطَّريقَ إليهما.

ثوابُ الشَّهادةِ وبركاتُها أعظم من ثوابِ وبركاتِ الهجرةِ من الوطن، ومكانةُ الشَّهيد

فوقَ مكانةِ المُهاجر.

كُن أيُّها العزيزُ قويًّا في ذاتِ الله عزَّوجلّ والحق، ولاتستوحش طريقَ الحقِّ لقلَّة سالكيه، ولايَضِقْ صدرُك بما تلاقيه من حصارٍ وتضييقٍ وتشويهِ سمعةٍ وطعنٍ في النَّزاهةِ ونحوها، ولاتضعف ولاتستسلم ولاتقبل بالأمرِ الواقع، وتعلَّق باللُّطف الإلهي لطلبِ الحقيقةِ والصَّوابِ وسبيلِ النَّجاةِ والخلاص، واتَّخذ من إبراهيمَ الخليل وسيِّد الشُّهداء عليهما السلام قدوةً حسنةً في الصَّبرِ والتحمُّلِ والتَّضحيةِ والتوكُّلِ على الله العزيزِ الحميد، وحَاوِل أن تُسقِطَ الوضعَ الخاطئ، وابحث عن الفرصِ لفرضِ واقعٍ جديدٍ أفضل.

المفسدون والحاقدون على أولياءِ الله الصَّالحين يريدون القضاءَ على وجودِهم، ويسعون لمحوِ ذكرِهم الحسنِ من الأذهانِ بتشويهِ السُّمعةِ والطَّعنِ في النَّزاهةِ ونحوهما،

ولكنَّهم في الحقيقةِ يؤسِّسون إلى رفعتِهم وعلوِّ منزلتِهم ورسوخِهم في عالمِ الذِّكر الجميلِ والتَّمكينِ لهم في الحياةِ من حيث لا يشعرون.

المؤمنُ يقابلُ السَّيئةَ بالحسنة، لأنَّه يحملُ الرَّحمةَ في قلبِه للآخرين، فيعفو عنهم ويصفح عن إساءاتهم إليه، ولكن هذا لا يعني السُّكوت عن الحقِّ والتوقُّف عن كشفِ الزَّيف والمؤامرات التي تحاك ضدَّ المؤمنين والأبرياء ولسلب حقوق النَّاس وتضييع مصالحِهم الحيويَّةِ والجوهريَّةِ في الحياة، بل هذا في الحقيقةِ من مقتضى الرَّحمة ولوازمها، والبليدُ هو الذي لا يُميِّزُ بين الأمرين أو الحالتين.

كلُّ من يكون صادقًا في دينه، مخلصًا لله جلَّ جلاله في نيَّة عمله، فإنَّ الله جلَّ جلاله يكون معه ويشملُه بلطفِه ورحمتِه جزاء صدقِه وإخلاصه، لأنَّه الرَّب الرَّؤوفُ الرَّحيم، فلا يحجبُ رحمتَه عن السَّالكين له بقدمِ الصِّدق، الرَّاجين فضلَه وإحسانَه.

من كان الله عزَّوجلَّ معه فإنَّه يُسدِّد خطاه ويُؤيِّده وينصره لا محالة ولو اجتمع عليه سكَّان الأرض جميعا، وما ترك أحدٌ شيئًا من زخارف الدُّنيا وزينتها من أجل الله الغنيِّ الحميدِ واستصلاحِ نفسِه ودينِه إلَّا عوَّضه الله الرَّؤوفُ الحكيمُ بما هو خيرٌ منه.

الإنسانُ اجتماعيٌّ بالطَّبع، ويميلُ بطبعه للحياةِ الإجتماعيَّة ومسايرةِ المجتمع ومشاركته، فالأصلُ هو الألفةُ مع القومِ أو الجماعة، والهجرةُ أو الغربةُ (الحسِّية والمعنويَّة) المأمورُ بها عقلًا وشرعًا حالةٌ استثنائيَّةٌ وضمن شروطٍ معيَّنة.

العزلةُ عن المجتمعِ والجماعةِ في الحالاتِ الطبيعيَّةِ شذوذٌ، وتدلُّ على اليأس، وتؤدِّي إلى الكآبةِ وسوءِ الظَّن بالآخرين، والاستغراقِ في الخيال وخلقِ التصوُّرات الوهميَّة والمَرَضيَّة البعيدة عن الواقع، وتؤدِّي إلى الكثير من المفاسدِ والانحرافاتِ الرُّوحيَّةِ والنفسيَّةِ والذوقيَّة والفكريَّة وسوءِ الخُلق، وتضيعُ المعايير السَّليمة في التَّعاطي

مع الآخرين ومع قضايا الحياة، وقد تؤدّي إلى الاختلالاتِ العقليَّةِ (الجنون) ولهذا فمِن أشدِّ أنواعِ التَّعذيبِ النَّفسي هو السِّجن الانفرادي لفترةٍ زمنيَّةٍ طويلة، ولا يقدر على تحمُّلِ السِّجن الانفرادي لفتراتٍ طويلةٍ إلَّا القليل من الناس، والصَّبرُ على السِّجن الانفرادي لفتراتٍ طويلة، والخروجُ منه بسلامٍ دليلٌ على:

- قوَّةِ العقلِ والإرادة.
- وجودِ حالةٍ عرفانيَّةٍ راقية، حيثُ يأنس العبد بالله ذي الجلال والإكرام، وينقطع عن كلِّ شيء.
- عظمةِ الشَّخصيةِ وتفوقها.

الصَّبرُ على المحنِ الشَّديدةِ يصنعُ أناسًا (رجالًا ونساءً) أشدَّاء يُعتمد عليهم،

ويُمثّلون بؤرًا صلبةً وأركانًا أساسيَّةً في حركةِ الإصلاحِ والمطالبةِ بالحقوق، فيجب تسليم أَزمَّةِ الأمور لهؤلاء الأشدَّاء في ذات الله عزَّوجلَّ والحق، والحذر من تسليمها لأشخاصٍ ضعفاءِ أو لأشخاصٍ لم يجربوا.

الغربة من أجل النَّجاة قد تأخذ شكلًا آخر، وذلك حينما يشتهر إنسانٌ بالقداسة، أو يُحمَّل من المسؤوليةِ ما لا يطيق، فيفرُّ بدينه خوفًا من الشُّهرةِ والرِّياءِ والسُّمعةِ المُهلكةِ روحيًّا، وخوفًا من أن يوقع النَّاس في الشدَّةِ أو فيما لا مصلحة لهم فيه أو فيما يضرُّهم في أمورِ دينهم ودنياهم.

لقد سعى الكثيرُ من العظماء في التَّاريخ -من الأنبياء عليهم السلام والأولياءِ والمصلحين- إلى إظهارِ الغربةِ المعنويَّة (إظهارُ الاختلافِ في المناهجِ والخياراتِ والمواقفِ مع أبناءِ قومهم) وإلى الهجرةِ الجسميَّة، وتحمَّلوا ألمَ فراقِ الأوطانِ والأذى من الفاسدين والغوغاءِ في

سبيلِ الإصلاح، وجعلوا الهجرةَ الجسميَّةَ وإظهارَ الغربةِ المعنويَّة بمثابة الصَّدمة التي تعمل على إيقاظ أصحابِ الضَّمائر من أبناء قومِهم من غفلتهم، وتنبيههم إلى الأخطاءِ التي وقعوا فيها، والأخطارِ المحدقةِ بهم، وهو أيضًا بمثابة الابتلاء والاختبار لأبناءِ قومهم وإقامةِ الحجَّةِ عليهم، وقد نجح هذا الأسلوبُ في حالاتٍ كثيرة، منها قومُ يونس، حيث خرج نبيُّهم عليه السلام من صفوفِهم، فأدركوا خطأَهم والخطر المحدق بهم، فثابوا إلى رشدِهم وتابوا وتضرَّعوا إلى الله جلَّ جلاله، فكُشف عنهم العذاب، قول الله تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ﴾[1].

تَحقُّقُ النتيجةِ الحميدةِ لصدمةِ هجرة الأولياء والصالحين ـ الحسّية والمعنوية ـ من

---

١. يونس: ٩٨

مجتمعاتهـم أو جماعاتهـم يحتـاجُ إلى شـروط، منهـا:- توفُّر مقـدارٍ من الوعي، ومحاسـبةُ النَّفـس، ومقـدارٍ مـن الاسـتقلاليَّة في التَّفكيـرِ وتقديـرِ الأمـور لـدى أبنـاءِ المجتمع أو الجماعة، بحيث لا يكونون قد رهنوا أنفسَهم بالكاملِ للغيربحيث يتحكَّمون في قراراتهم ومصائرهم، ومثل هذا الارتهانِ في الوقتِ الذي يهدر كرامةَ الإنسانَ ويُلغي عقله، فإنَّه يهـدِّد بشـكلٍ جـدِّي مصالحَـه الحيويِّـة في الدُّنيا، ومصيـرَه الوجـودي في الآخرة، وهو غريب جدًا عن الوعي الإنساني، وعن عقيدةِ التَّوحيدِ العظيمة.

هناك هجرةٌ قسـريَّةٌ أو غربةٌ ينتقل فيها الإنسـان من وطنٍ إلى وطنٍ بدون اختيارهِ حتى يستقرَّ به المقام في الوطن الأبدي، وهي:

- الغربةُ عن وطنِ الرَّحم بالولادة.
- الغربةُ عن وطنِ الدُّنيا بالموت.

- الغربةُ عن وطنِ البرزخ بالبعث.

ليستقرَّ المقامُ بالإنسان في آخرِ الأوطان: الجنَّة وهي الوطن الأبدي للسُّعداء، أو النَّار وهي الوطن الأبدي للأشقياء.

وينبغي التَّنبيه إلى أنَّ البعض يدخل النَّار إلى بعضِ الوقت، ثم يخرجه الله الرؤوفُ الرِّحيمُ منها ويدخله الجنَّة.

تعتبرُ السَّعادةُ الحقيقيَّةُ منتهى أفعال وأعمال الإنسان كلِّها، فهو يعملُ الأعمالَ ويتحرَّى الأفعالَ من أجَل ما يعتَقدُ أنَّه السَّعادة الحقيقيَّة، وكلُّ عمل وفعل وتصرُّف وموَقف وعلاقة لا تنتهي بالإنسان للكمال وتحصيل السَّعادة، أي: مخالفة العقائد الحقَّة، والأخلاقَ الفاضَلة، والطَّريقة الوسطى (الاعتدال) والشريعة السَّمحاء، فهو نقَصٌ وشقاءٌ واغترابٌ واستلابٌ وضياعٌ ومخالفةٌ للطبيعةِ والفطرةِ والعقلِ والمنطقِ السَّليمِ والبرهانِ الصَّحيح.

فضيلة الأستاذ عبدالوهاب حسين

تيار الوفاء الإسلامي
للمزيد يمكنك زيارة موقعنا الإلكتروني
al-wafa.co

alwafa_party alwafaparty alwafa_party alwafa.party1